الأداء الأسلوبيّ بين الاتباع والإبداع

معيفي عبد الحميد[1]، سهام سلطاني [2]

1- جامعة الشاذلي بن جديد الطارف، Hamidmaifi17@gmail.com

2- جامعة الشّاذلي بن جديد الطارف، Hamidmaifi17@gmail.com

الاستلام: 2020/02/25 القبول: 2020/09/02 النّشر: 2020/10/20

الملخص: يظل الأسلوب في بساطته متجليا في تعامل الإنسان مع ذاته، وفي عمقه يظهر بوضوح في تعامل الإنسان مع ما يحيط به، فهو يمثل كيانا يبث الحياة في النص الأدبي مع المحافظة عليه من خلال تماسكه والتحام أجزائه ليكشف عن خباياه لاستنباط مواطن الجمال فيه، وهو الأداة التي من خلالها يحقق الشاعر أو الكاتب غاياته وأهدافه السامية فهو سلاح المبدع الذي يشق به ساحة الإبداع بتفوق ونجاح، ولهذا تقربنا منه محاولين معرفة الى أي مدى يظل المبدع متأثرا لا مؤثرا؟ و يظل الأسلوب المعيار الحقيقي لقدرة الشاعر أو الكاتب على التفوق والعطاء، و بذلك يساعد المتلقي الذي يحاول الكتابة أن يأخذ الطريق الصحيح كي يصبح مؤثرا وأسلوبه مقبولا عند متلقيه، و بعد محاولة الدخول الى عالم الأسلوب حاولنا الوصول الى بعض النتائج التي نتمنى أن تفيد القارئ.

الكلمات المفتاحيّة : الأسلوب ، المفهوم ، الدور ، التأثر ، التأثير.

Stylistic performance between followers and creativity

Abstract : The method remains in its simplicity manifested in a person's dealing with himself, and in his depth appears clearly in a person's dealing

* **المؤلّف المرسل**: معيفي عبد الحميد، Hamidmaifi17@gmail.com

with what surrounds him. Through it, the poet or writer achieves his lofty goals and goals, as he is the weapon of the creator, with whom he excels creativity with excellence and success, and for this we come close to him, trying to know to what extent the creator remains affected, not influential? And the method remains the true standard for the ability of the poet or writer to excel and give, and thus helps the recipient who is trying to write to take the right path to become influential and his style acceptable to his recipient, and after trying to enter the style world we tried to reach some results that we hope will benefit the reader .

Key words: style, concept, role, influence, impact.

مقدمة: يتعلق مصير النص الأدبي في العادة بالأسلوب الذي كُتب به؛ لأنه يظل ملازما له فهو قلبه النابض والسلك الخفي الذي يربط أجزاءه ويمنعها من التشتت والضياع، والنص يقوى أو يضعف به ومن خلاله، وكذلك بالنسبة للشاعر و الكاتب فكل منهما يُعرف من خلاله، فإذا اكتسب أحدهما أسلوبا فقد اكتسب الأداة الحقيقية للكتابة ليواصل طريقه الإبداعي في سلاسة وليونة، ومن لم يستطع امتلاك أسلوب خاص به سيظل على الدوام يسبح في مياه غيره ولن يكون سابحا ماهرا، ولن يكون قادرا على الإبداع، و يعتبر الأسلوب و امتلاكه من طرف الكاتب أو الشاعر العمود الفقري لكل كتابة إبداعية ، فهو الذي يؤثر في المتلقي و يجذبه لمتابعة النص قراءة أو سماعا، و كذلك يؤثر لدرجة التأثير الكبير فيصبح صاحب الأسلوب الراقي هو الرائد في الكتابة، و تتبعنا في دراسة هذا الموضوع الإجراء التحليلي .

لهذا على كل من دخل عالم الكتابة أن يكون له أسلوبه الخاص به، فيُعرف من خلاله لأن المقولة المشهورة " الأسلوب هو الرجل " أكبر دليل على ذلك .

1- تأثر الأداء الأسلوبي : إنّ كلمة أسلوب لها دلالة إيحائية، وهي حالة خاصة بالفرد، وملازمة له، سواء أكانت خاصة بالجانب الأدبي ككتابة نص، أو إلقاء درس من طرف المتكلم أو يكون حالة خاصة بالحياة اليومية من تصرفات ومعاملات يقوم بها الفرد ، وإذا كنا نركز على الجانب الأدبي ليتجلى الأسلوب في الكتابة أوفي الأقوال، وهذا الأسلوب ينطلق من الكلمة التي تصدر عن وعي كامل من طرف المتكلم أو الكاتب، ومن خلال هذه الكلمة يظهر

الأسلوب ويُعرف المتكلمُ، فالكلمة عظيمة، وهي ذات منزلة رفيعة ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَآءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [ابراهيم، 24]؛ فمن خلال هذه الكلمة الطيبة يظهر أسلوب الكاتب أو الشاعر؛ لأن الأسلوب هو مجموعة من الكلمات، كل كلمة تمثل شجرة طيبة؛ لأن هذه الكلمة تنقل المجتمعات من الظلمات إلى النور ،وبذلك يصبح الأسلوب الذي بني على هذه الكلمة مصباحا ينير ظلمة الأمة و ‹‹الأسلوب ليس سوى أداة الإنسان في دلالة الإنسان على نفسه اجتماعيا أو ذاتيا عبر مستويات الأداء الأسلوبي ، أو عبر الشحنات العاطفية و الوجدانية التي يحملها الأسلوب››[1]، وتبقى هذه الشحنات العاطفية و الوجدانية معلقة بوجدان الشخص حتى يصل إلى مرحلة الإظهار والوضوح من خلال اللفظ أو الكتابة، وكل منهما يعتمد على الكلمة، لأن الشخص إذا لم يتكلم فسيبقى غريبا ، و حين يتكلم فأنت ستعرفه ، ومن خلال هذا يستطيع الإنسان أن يدل على نفسه بأسلوبه الأدائي، ولكل إنسان أسلوبه الخاص به، وقد يتشابه أسلوب شخص مع آخر لكن تبقى هناك أشياء تصنع الفارق بين أسلوب الأول و أسلوب الثاني ، كما نجد أسلوب الإنسان الذي يسكن في المدينة يختلف عن أسلوب ساكن الريف لأن هناك عوامل كثيرة أثّرت ،فيصبح كل واحد يعبر بحسب ما أنشئ عليه ، و أهل البدو ‹‹ ... أقرب إلى الفطرة و أبعد عما ينطبع في النفس من سوء الملكات بكثرة العوائد المذمومة وقبحها ، فَسَهُلَ علاجهم ...›› [2]، وإذا كان هناك من يسهل علاجه فهناك من يصعب علاجه لأن الطبائع تختلف، و البيئات و العوامل الداخلية و الخارجية تلعب الدور الأساس في التهذيب أو في عكسه.

كما نجد أهل الحضر، ‹‹قد ذهبت عنهم مذاهب الحشمة في أحوالهم فتجد الكثير منهم يقذعون في أقوال الفحشاء في مجالسهم و بين كبرائهم ، و أمام محارمهم ولايصدهم عنه وازع الحشمة، لما أخذتهم به عوائز السوء في التظاهر بالفواحش قولا وعملا ››[3]، ويبقى لكل عصر ظروفه و مقتضياته الخاصة، لكن يبقى لهذه العوامل الدور الكبير في تكوين أسلوب الفرد ‹‹ فالأسلوب كيان أفرزته علاقات معنية بين الوحدات اللغوية بموجبها تم الالتئام بين أجزاء النص في وحدة مكتملة على ما يتضح في أجزاء النص... ›[4]، فيبقى مثل المولود الذي تعمل عوامل عديدة في تكوينه و إظهاره للوجود و أيضا هناك مؤثرات في الأسلوب عن قرب و عن بعد من طرف الإنسان في حدّ ذاته القادر على التأثير في أسلوبه أو من طرف أطراف أخرى لها القدرة على التوجيه و التغيير، وهذا بعد ظهور الأسلوب كمنتوج فكري وجداني نفسي اجتماعي

ذاتي...الخ، ويمكن القول بأن الأسلوب هو ‹‹ ... الكيفية التي يستخدم فيها المبدع أداة أو طريقة تعبيرية معينة من بين خيارات متعددة وضمن تأليف خاص، فكل باحث يحمله إلى مرجعيته ،و يعرفه اعتمادا على الحل الذي ينتمي إليه أو يعنى به ››[5]، ومن الأفضل أن تبقى لكل مبدع طريقته الخاصة حتى تميزه عن جميع الطرائق الأخرى، و التي يكون منها ما يتماشى مع طريقته و أسلوبه الخاص.

كما نجد " طه حسين" استطاع أن يمتلك أسلوبا خاصا به بالاعتماد على حاسة السمع فقط، ‹‹ و أسلوب طه حسين ... فيه إثارة للخيال اللغوي، فحرك تلك الخصائص اللهجية التي يسمعها الشخص العادي في أفواه الغرباء عن العربية، و بذلك استطاع أن يستفيد منها في تغذية أسلوبه بإعطائه دفعات تقوية فيحدث أثره الذي أراده ››[6]، واعتمد طه حسين على الخيال، والخيال ليس له حدود، وبذلك يكون صاحب الأسلوب الأدبي غير ملزم بنقل الواقع كما هو، بل ينطلق منه، و لكن يعبّر عنه بالطريقة التي تساعده و تساعد خياله في الرسم والتصوير، وهذا التصوير يختلف من أديب إلى آخر؛ لأن كل أديب له مقدرته التصويرية .

والأسلوب مثل النبتة التي تحتاج إلى رعاية واهتمام، فبقدر ما يكون الاهتمام كبيرا بقدر ما يكون نمو النبتة سليما.كما أن الأسلوب يمثل الطريق و المسار الذي يسلكه الأديب للوصول إلى نتائج أكثر واقعية ‹‹ ... و الأسلوب الطريق و الوجـه و المذهب ... والأسلوب بالضم ، الفن ، يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه ... ››[7]

وإذا كانت لفظة أساليب تعني أفانين، فإننا نرى بأن الفنان يعتمد على الموهبة، وثمرته تكون بقدر اجتهاده، حتى يمكن له أن يسير في هذا الطريق بثبات، حتى يسهل على النقاد تجاوز المراحل السطحية للكشف عن نصه، ‹‹ ومن هنا تبرز أهمية علم الأسلوب الحديث في تجاوز دور النقد السطحي في التعامل مع النصوص و تحليلها وقدرتها على الكشف عن مواطن الجمال فيها... ››[8]، والنص الأدبي كلما كان مؤثرا، كلما جعل النقاد و المحللين يولوه عناية كبيرة، و الأسلوب عند الباقلاني ‹‹ ...طريق من طرق الكلام البديع ،وطرق الكلام البديع المنظوم تنقسم إلى أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه ... ››[9]، وكلما كان هناك اختلاف كلما زاد للعملية التواصلية تفاعلا، وأحدثت هذه الأنواع المختلفة وجهات نظر من شأنها أن تعزز العملية الحوارية بين هذه الأراء.

ومما لاشك فيه أنه على الأديب أن يجعل لطريقه حدودا كي لا يلتبس الأمر عليه ويكون أسلوبه مختلطا بأسلوب غيره، و حين نتكلم عن الأسلوب فنحن نتكلم عن الحياة بصفة عامة ، لذلك يجب علينا بأن نعرف بأن ‹‹... كلمة أسلوب هنا ليست مقتصرة على الأسلوب الأدبي ... أو أسلوب الكتابة عامة، بل هي كلمة واسعة تشمل كل نشاطات الحياة... و أن الأسلوب الأدبي إلا أن يكون جزء من طريقة الحياة العامة ، في كل مجالاتها لهذا الشعب أو ذاك ››[10]، لذلك نجد الأساليب تختلف و تتنوع و تتعددّ، و هذا يعود إلى كثرة تعددّ المجالات أي مجالات الحياة ، والحياة في تطور مستمر ، و كذلك اللغة هي في حدّ ذاتها ‹‹ ... كائن حي ، يتطور على الدوام بتطور المجتمع و ينمو تبعا لنمو الأفكار و تنوع الحاجات ، فإن كلمة أسلوب ، في كل لغة ، وفي كل لهجة لها تاريخا طويلا أو قصيرا ماضيا قريبا أو بعيدا ››[11]، فما دامت اللغة في تطور مستمر، فكذلك الدراسات النقدية يجب أن تواكب هذا التطور، وتستطيع تكييف العملية الإبداعية ومسايرتها جنبا إلى جنب و‹‹ يذهب الأسلوبيون النقاد والأسلوبيون إلى أن الأسلوب ظاهرة تلازم تحقق العملية اللغوية المحكية منها، أو المكتوبة وأنها نتيجة تجذرها في التعبير الإنساني من مستوى الجملة وتراكيبها المختلفة... ››[12]، وهذه الحركية تدل على الحياة و الاستمرار و التنقل يدل على السير ويبقى الأسلوب ،الكاشف عن شخصية الأديب، و بقدر ما يكون الأسلوب مستقلا بقدر ما يزيد تأثرنا بالشاعر والأديب ، لذلك اعتنى الأدباء و النقاد به وجعلوا منه علما قائما بذاته لقدرته على جعل الشاعر أو الأديب ينال قدرا كبيرا من التقدير لأن ‹‹... علم الأسلوب يتخذ مادته المفضلة مما يجعل العمل الأدبي المدروس خلقا شعريا ويجعل صاحبه شاعرا مبدعا››[13]

وكاتب النص بإمكانه أن يجعل من أسلوبه منفذا يرى من خلاله العالم، ويجعل هذا العالم يتأثر بأسلوبه، إذا عرف كيف يغذيه، وما دام الأسلوب ‹‹ طريق من طرق التعبير الفني الجميل التي يسلكها الأديب للتعبير عما يجول في نفسه من المعاني، و يجيش في صدره من الخواطر››[14]، فالأديب بإبداعه يثير النفوس، ويلهم الشعراء، والأدباء؛ لأن روح ذاك الأديب المبدع هي النواة التي غذّت الأسلوب ليظهر النص في أجمل صورة؛ لأن كل عمل أدبي يمثل روح صاحبه و ‹‹ يمثل كل عمل أدبي وحدة كلية شاملة، يقع في مركزها روح مبدعها، وهو المبدأ الذي يضمن لها تماسكها اللغوي، فروح المؤلف كما ذكرنا يُعَدُّ نوعا من النظام الشمسي الذي تسبح في محيطه و تنجذب إليه جميع العناصر من لغة و حكاية و غيرها ويعتبر مبدأ التماسك الداخلي هذا المحور الأساس لما يسميه " سبتسر" المركز الروحي أو الطابع الغالب

على جميع تفاصيل العمل الذي يعتبر سببا و تفسيرا له ››[15] في التفاعل والمساندة و الانسجام حتى و إن كانت هذه العناصر متباعدة ، لكن روح المؤلف و قدرته الإبداعية يجعلان العمل الإبداعي يأخذ مساره الصحيح، وهو إظهار النص ككيان مستقل بذاته له حيّزه الخاص.

وتبقى لغة الأديب و خاصة الشاعر ‹‹ ... وسيلة تعبير، وفرق واسع بين لغة الإيصال و لغة التعبير، فالأولى مباشرة و عابرة تصل المعنى إلى غايته كما هو ... أما الثانية فإنها تحمل في داخلها عناصر التأثير ينبع من طبيعة مركبة متداخلة بين ذات الفنان ووسيلته لذلك تكتسب اللغة على يد الشاعر بعدا خاصا في الوقت نفسه الذي تدخل فيه طرفا في التجربة الفنية بطبيعتها الخاصة و تاريخها و إمكاناتها و استوائها في نفسه...››[16]، لذلك يظهر التمايز والمفارقة بين شاعر وآخر، وهذا التمايز يعود لأسباب منها ما هو نفسي كمعالجة الشاعر للحالة بشعوره، و آخر يعالجها بعقله فالأول يؤثر في الوجدان لأنه يعبّر، أما الثاني فإنه يقول لذلك يوصل فقط.

كما تعمل جميع العناصر في التكوين الشعري و رسم المسار الحقيقي لأسلوب الشاعر الحقيقي ‹‹ ويعدّ الشكل الشعري مركبا من مجموعة من المركبات، فهو يتضمن ناحية التمثيل الذهني لما فكر فيه الشاعر، و يحتوي من ناحية أخرى على مركب من العناصر الصوتية التي تنحو جميعها إلى إقامة علائق غير تقليدية بين الدال و المدلول و كلما اكتملت الصيغ الشعرية كلما كانت هذه العلائق أقوى تعبيرا ››[17] ، ومن هنا تظهر فعالية الأسلوب ويظهر دور الكاتب أو الشاعر في الصياغة، وإبراز المعنى ،وذلك بحسب السياق الذي اتبعه هذا الأخير، وإذا كان لكل دالٍّ مدلول خاص به، فالشاعر هو الذي يبرز هذه العلاقة التي جمعت بين الدال والمدلول ،وذلك بإتباع أسلوب معين في القول أو في الكتابة ‹‹فالأسلوب إذن وصف للبنى التي يتوفر عليها النص الشعري ،وصف يكشف عن طرائق القول، ومن ثم فهي كشف عن الخصائص المتمخضة عن تلك الطرائق... ››[18]

وبقدر ما يكون هذا الوصف دقيقا يكون تأثيره كبيرا على المتلقي، حيث يدفع هذا التأثير إلى تغيير الاتجاه الفكري السائد من السلب إلى الإيجاب، ‹‹ وكما أن الشعر لا يُفهم إلا بعد الإحاطة بلغته و مدلولاتها الدقيقة ،فإن فهمه، أيضا يكون عسيرا إذا لم نحط ببيئته فهو يستمد حقائقه و أمثلته و أطره منها، و يسجل طبيعة مجتمعه و تقاليده و سننه، وهذا الأخير لا يكون إلا بالإحاطة التاريخية به ››[19]، و تكون هذه العملية الشاملة في دراسة هذا الشعر ومسبباته

من بيئة الشاعر نفسها أو من تأثر الشاعر ببيئات أخرى ولكن هذا المسح الكلي للعملية الإبداعية من بداية ظهورها إلى حالة نضجها يتطلب عملا كبيرا من طرف الناقد الذي لابد عليه أن يساير العمل الإبداعي حتى يتسنى له الإحاطة بهذه العملية الإبداعية.

2- **قوة وتأثير الأداء**: إن قوة الأسلوب و جماله تعود بالدرجة الأولى إلى الكاتب أو الشاعر، حين يكون الواحد منهما يمتلك خيالا واسعا، وله دراية بالعلوم والأشعار يمكن له بعد الممارسة أن يمتلك أسلوبا قويا و جميلا خاصا به يُعرف من خلاله، و لنا أمثلة عديدة و شعراؤنا العرب كان لكل منهم أسلوبه المتفرّد، فأسلوب أبي " فراس الحمداني" يختلف عن أسلوب " المتنبي" وأسلوب " المتنبي " يختلف عن أسلوب " امرئ القيس" ، و أسلوب " نزار قباني " يختلف عن أسلوب " محمود درويش" و أسلوب " محمود درويش " يختلف عن أسلوب " مفدي زكريا"

كما أن هذه الاختلافات تعود إلى أن كل شاعر قد عاش في زمن و في بيئة تختلف عن زمن و بيئة الشاعر الآخر، و بذلك تكونت لكل واحد منهم طريقته التي يستطيع من خلالها أن يقنع المتلقي بها، وهذا يعود إلى عملية الإتقان الوصفية ‹‹ واستخدام الكلمات الوصفية التي تفيد في جمال الأسلوب ، وفي قوته معًا، و يراد بالكلمات الوصفية تلك الكلمات التي تُصور مشاهد أو حوادث تلفت النظر و تروع الفؤاد، وتثير الإعجاب دالة على ما في الموصوف من بهجة ممتعة، أو صوت مجلجل، أو إبداع عجيب... ››[20]

والشاعر الملهم هو الذي يستطيع من خلال أسلوبه أن يؤثر في المتلقين، وهذا التأثير لا يكون بتوظيف العبارات الفخمة، و لكن بالطريقة التي ينسج بها عباراته و القوالب التي يُظهرها فيها، وهذا يعود إلى شخصية الشاعر التي تتأقلم مع كل الأحوال المحيطة، و لو تأملنا المتنبي الإنسان و الشاعر لوجدنا أن ‹‹ شخصية المتنبي شخصية محيرة و متعددة الجوانب و على قدر كبير من الإغراء للفنانين و الشعراء، وهي لازالت مثيرة للجدل والخوصصة حتى الآن. ››[21]

ولو نتأمل حياة المتنبي لوجدنا أن الظروف و الأحوال التي أحاطت به كان لها الدور الفعّال في بناء هذه الشخصية التي جعلت الدراسات متواصلة؛ لأنه ألهم بأشعاره حتى الشعراء أنفسهم، رغم أن المتنبي في بعض شعره نجده متأثرا بأشعار شعراء آخرين، إلا أن ميزة المتنبي أنه يجعل من ذلك التأثر إبداعا جديدا، وهذا ما حيّر هؤلاء الشعراء ‹‹ على أن كثيرا من المعاني

التي تَشَارَكَ المتنبي فيها مع من سبقه من الشعراء أو سرقها منهم كما يقول خصومه قد أضفى عليها من روعة بيانه و إبداع فصاحته ما أنسى الناس شعر سابقيه و جعل شعره على مرّ الزمان خالدا يتحدث الناس به و يعجبون ››[22]

وهذا الإعجاب ليس مقتصرا على المتذوقين للشعر فحسب، بل مسّ المختصين كالشعراء و النقاد و الباحثين العرب و غير العرب، بل أن الحالة تجاوزت مرحلة الإعجاب ووصلت إلى الحيرة و ستبقى هذه الحيرة قائمة، لأن شعر" المتنبي " ممزوجا بالفلسفة و الحكمة حيث أن المتلقي يجد أبيات " المتنبي" قريبة منه و بعيدة في الوقت نفسه، فيوهم المتلقي نفسه بأنه يستطيع أن ينسج مثلها، و لكن يعجز أمام البساطة و التعقيد، أمام الفلسفة والحكمة، كما صنع " المتنبي" ثورة في عالم الشعر الغربي و ‹‹ إن بعض الشعراء الذين استحضروا شخصية " المتنبي" بغض النظر عن مدى النجاح الذي أصابوه، أو التقنية التي استخدموها – أرادوا أن يتحدثوا بصوته و لسانه، فساعدهم ذلك على تقديم تجاربهم المختلفة في الطموح والانكسار والغربة و النفي وغيرها، من خلال هذه الشخصية النادرة والمتعددة الجوانب ››[23]، ولو يتأمل المتأمل شعر المتنبي لوجد فيه عددا من الأغراض الشعرية، وهذا لا يتأتى إلا لشاعر خبر الحياة، ومرّ بعديد التجارب التي كان لها الدور الكبير في بناء شخصيته و أسلوبه، و ‹‹ أن لشخصية الشاعر تأثيرا قويا في لون الأسلوب فتضيف إليه مزايا خاصة فوق هذه المزايا الموضوعية العامة فرقة النسيب أو العتاب قد تتوارى خلف قوة الشخصية وجفائها كما تلحظ عند المتنبي ››[24] ، لتظهر قوة الشخصية التي من خلالها يتجلى أسلوبه.

وإن الأسلوب جزء لا يتجزأ من الشخصية، ويتكون الأسلوب بتضافر عوامل عدّة وهذه العوامل تُمكّن الشاعر من تكوين الصور الذهنية القادرة على التأقلم والتكيّف مع أيّ جانب من جوانب الحياة، وهذا نجده عند العديد من شعرائنا العرب ‹‹ ولا شك في أن الصورة الذهنية لا تكتسب إلا بطول النظر في أساليب العرب و بذلك يكون الأسلوب في النفس قبل أن يتحرك به اللسان... ››[25]

والصورة الذهنية ليس من السّهل أن تتكوّن في فترة وجيزة، بل يعود تكوينها إلى مراحل يمّر بها الشاعر، وهذه المراحل تكون متنوعة، يواجه فيها الحالات المحزنة و المفرحة، و يعايش تجارب الآخرين، بل يعيشها و يتأثر بها ويأخذ منها الشيء الإيجابي و يتخلّى عن السلبي، ومرحلة التمييز بين الإيجابي و السلبي مرحلة ليس من السّهل الوصول إليها فهي أيضا

تتطلب طول نظر، ورغم أن مرحلة التمييز مرحلة تجاوزتها الدراسة الأسلوبية، إلا أنها مرحلة لابد من الوصول إليها و ‹‹ لم تكن إشكاليات الدراسة الأسلوبية للأدب تُثقف عند حدود التمييز بين ما هو جماعي و ما هو فردي، بل تجاوزت ذلك إلى البحث في العلاقة التي تربط بين البنية الأسلوبية و البنية الفكرية للنص ››[26]،وهذا الربط يستوجبه نوع الأسلوب الذي جاء على مضماره النص الأدبي، و تكوّن من خلاله،فهو الذي يمكّن الدارس من التوغل و البحث عن العلاقات التي من شأنها أن تعززّ الدراسة و تكون ثمرة من خلالها.

والأسلوب عند الشعراء له مراتب، فهناك الأسلوب البسيط و الأسلوب المتوسط، و الأسلوب المتدني، و الأسلوب الرفيع، وجلّ شعرائنا لهم أسلوب رفيع، و‹‹...والأسلوب الرفيع يستعمل من طرف الشعراء في الأجناس " النبيلة" مثل الشعر الحماسي و التراجيديا و في الغنائية العاطفية (النشيد و المدحة) ››[27]، وما كثرة الدراسات والتركيز على أشعار شاعر معيّن إلا دليل على قوة أسلوبه؛ لأن ‹‹ ... الغاية في الأسلوب الأدبي هي إثارة الانفعال في نفوس القراء و السامعين ،وذلك بعرض الحقائق جميلة رائعة كما أدركها أو تصورها الكاتب و بذا يجمع الأسلوب الأدبي بين الإفادة والتأثير››[28]، إذ يوّلد المتعة؛ لأن الشعر يفيد و يمتع ، فهو يدعونا إلى الأفضل و ينقل لنا الوقائع عذبة، و إذا كان الأسلوب قويا و جميلا، فقوته في كيفية البناء الشعري و في المساحة التي يعطيها الشاعر لنفسه كي يوظف العبارات بحرية . أما جمال الشعر فهو يكمن في الشعرية، و في الأبعاد الفلسفية و التصويرية التي يدقق الشاعر في رسم أبعادها ليكون الجمال الشعري الحقيقي وهذا الجمال ينتقل إلى جمال النقد و جمال الدراسات التحليلية، و‹‹ ... أن الجمال في النقد العربي بدأ في العصر الجاهلي وفق التذوق السليم ثمّ تطور إلى الأحكام المعلّلة في عصر صدر الإسلام، ثم اتجه فيما بعد إلى الأحكام العلمية على يد اللغويين و النحاة ››[29]

والتذوق السليم هو الكفيل برفع مستوى النقد، ومن ثم رفع مستوى الوعي للأشعار وخاصة النصوص الجاهلية و التي تتطلب ذوقا رفيعا و مستوى عال من الوعي حتى يتمكن الباحثون من الغوص في مضمون النص الجاهلي، وجعله في المتناول حتى يمكن للمتلقي فهمه و الاستفادة منه، كما ‹‹ تحتل دراسات الأسلوب مكانة متميزة في الدراسات النقدية المعاصرة و تقوم كثير من هذه الدراسات على تحليل الأعمال الأدبية و اكتشاف قيمتها الجمالية

و الفنية انطلاقا من شكلها اللغوي باعتبار أن الأدب فن قولي تكمن قيمته الأولى في طريقة التعبير عن مضمون ما ... ››[30]

وهذا المضمون من شأنه أن يرفع مستوى التفكير لدى العامة إذا عرف الأديب كيف يعالج بفنه هذه الظواهر الإنسانية في الأعمال الأدبية ،فتصبح عامل بناء في إنهاض المجتمعات ورقيها ،ولكي يتسنى ذلك للأديب عليه أن يكون على علم بحالة المتلقي و أحواله حتى يتمكن من بناء جسر التواصل بينه و بين المتلقي، ويعرف كذلك أي الأساليب تتماشى مع تفكيره ، وبهذا يمكن للأديب أن يمرر رسالته للمتلقي و يؤثر فيها؛ لأن ‹‹ العمل الأدبي هو رسالة موجهة من المنشئ إلى المتلقي تستخدم فيها نفس الشفرة اللغوية المشتركة بينهما ويقتضي بذلك أن يكون كلاهما على علم بمجموعة الأنماط و العلاقات الصوتية و الصرفية و النحوية و الدلالية التي تُكوّن نظام اللغة ... وهذا النظام يُلبّي متطلبات عملية الاتصال بين أفراد الجماعة اللغوية وتتشكل علاقاته من خلال ممارستهم كافة ألوان النشاط الفردي والاجتماعي في حياتهم ››[31].

وإذا حدث التوافق بين المرسل و المستقبل فإن حياة كل منهما تأخذ مسارها الصحيح؛ لأن الشاعر بكلمته الصادقة يغير مصير حياة شخص ما، و إن للكلمة العظيمة مفعولا كبيرا كما جاء في القرآن الكريم بأن الكلمة الطيبة مثل الشجرة الطيبة، وهي ‹‹ ... شجرة في الجنة ... كل شجرة منه تأخذ ما بين المشرق إلى المغرب بطل غاط ليست في الأعين كذات أنواط و ذات أنواط...شجرة كانوا يعظمونها في الجاهلية ››[32]، فما أعظم الكلمة الصادقة وما أعظم تأثيرها في الحياة، فهي تبني المجتمعات و تقوي الصلات .

4- خاتمـــة: بعد محاولة التطفل ودخول عالم الأسلوب، ومحاولة الكشف عن خباياه وأسراره العميقة وصلنا إلى أنه يمثل عالما كبيرا ومتشعبا، فحاولنا كذلك معرفة الأداء الأسلوبي في الإبداع الشعري بالخصوص، وتوصلنا إلى عدد من النتائج نوجز البعض منها في هذه الخاتمة.

- الأسلوب أداة للكشف عن حقيقة الذات الإنسانية بسلبياتها وإيجابياتها، وإظهارها للجميع.

- بقدر ما يكون وصف البنى التي يتوفر عليها النص الشعري حاضرا بقدر ما يكون تأثير الأسلوب قويا، حيث بإمكان هذا التأثير أن ينقل الاتجاه الفكري السائد من السلب إلى الإيجاب.

- إن الشاعر الحقيقي ليس الذي يقول عبارات أثناء ثورة حماسية عابرة فنعجب للحظات ثم يذوب إعجابنا. إنما الشاعر الحقيقي الذي يترك أثرا عميقا في نفوسنا بأداء أسلوبه المتميز، وهذا لا يكون بتوظيف الكلمات الفخمة، ولكن بالطريقة التي نسج بها تلك العبارات وإن كانت بسيطة فتظهر في قالب ممتع ومغر في الوقت نفسه.

- يبقى الأسلوب هو معيار الكشف عن شخصية الأديب، وبقدر ما يكون الأسلوب مستقلا بقدر ما يزيد تأثرنا بكتابات الأديب وإبداعاته، لذلك صار علما مستقلا بذاته له أسسه ومعايره التي تميزه وترسم حدوده.

- بإمكان الكاتب أو الشاعر أن يمتلك أسلوبا خاصا به، فإن أراد التحرر والمضي قدم كان له ذلك، وإن ظل يسبح في مياه غيره فله ذلك، لكن يظل على الدوام تابعا لا مبدعا حقيقيا.

- الأسلوب والنبتة سواء يحتاجان للرعاية الجادة والمتواصلة كي ينموان ويترعرعان ويثمران.

- المتنبي وطه حسين طورا نفسيهما وذلك بالاجتهاد والعمل المتواصل، مع ترك الحرية للخيال في السباحة، وهذه السباحة المتواصلة في عالم الخيال غذت أسلوبيهما فأحدثا الأثر الذي أراداه.

3- مصادر البحث و مراجعه

- أبو العلاء المعري: رسالة الغفران ، دار الشباب ، تونس، 2010 .

- أبو سعيد محمد بن أحمد العميدي: الإبانة في سرقات المتنبي، تحقيق، إبراهيم الدسوقي السباطي، دار المعارف ، بمصر 1967 .

- أحمد الشايب : الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب البلاغية)، مكتبة النهضة العربية، ط8، القاهرة ، مصر 1991.

- أحمد درويش :دراسة الأسلوب بين المعاصرة و التراث ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، مصر ، 1998 .

- أديث هاملتون : الأسلوب اليوناني في الأدب و الفن و الحياة ، ترجمة : حنا عبود، منشورات وزارة الثقافة ،دمشق سوريا ، 1997 .
- أنيس فريحة : اللهجات و أسلوب دراستها، دار الجبل ،ط1، بيروت ، لبنان ، 1989 .
- البد راوي ز هران: أسلوب طه حسين في ضوء الدرس اللغوي ، درا المعارف القاهرة، مصر ، 1982 .
- ثائر الزين: أبو الطيب المتنبي في ا لشعر العربي المعاصر دراسة، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999 .
- جبار اهليل زغير محمد الزيدي الميلامي: أسلوبية اللغة عند نازك الملائكة مجلس كلية التربية (صفي الدين الحلي) ، جامعة بابل، 2011 .
- حسن ناظم : البنى الأسلوبية دراسة في " أنشودة المطر" للسياب"، المركز الثقافي الغربي، ط1، (الدار البيضاء المغرب وبيروت ، لبنان) 2002 .
- حياة معاش: الأشكال الشعرية في ديوان الششتري (دراسة أسلوبية) ، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في الأدب المغربي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010 ، 2011 .
- رحمن غركان: مقومات عمود الشعر (الأسلوبية في النظرية و التطبيق) ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا، 2004 .
- سعد مصلوح : الأسلوب (دراسة لغوية إحصائية) ، عالم الكتب ، ط3، القاهرة، مصر، 1992.
- سليمان الشطي: المعلقات و عيون العصور(عالم المعرفة) سلسلة شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون الآداب الكويت، 2011 .
- صلاح فضل : علم الأسلوب (مبادؤه و إجراءاته) ،دار الشرق ،ط1 ، القاهرة ، 1998
-عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون ، مراجعة و تعليق، عبد الباقي خريف، دار الشباب ، تونس ،2014 .
-عدنان بن ذريل : النص و الأسلوبية بين النظرية و التطبيق ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 2000 .
-محمد بولحية: الأسلوب البلاغي في القران الكريم (سورة الكهف نموذجا دراسة وصفية)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة و الأدب العربي (تخصص البلاغة و الأسلوبية)، جامعة الحاج لخضر ،باتنة، 2010، 2009 .

- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : عبد الكريم العزباوي ، مطبعة حكومة الكويت، ح3، مادة " س.ل، .ب " 1967 .
-محمود السيد شيخون: الأسلوب الكنائي،مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، القاهرة، مصر، 1978.
- منذر عياشي : الأسلوبية و تحليل الخطاب ، مركز الإنماء الحضري، ط1، حلب ، سوريا، 2002 .
- نهيل فتحي أحمد كتانة: دراسة أسلوبية في شعر أبي فراس الحمداني ،بحث مقدم الاستكمال درجة الماجستير في قسم اللغة و الأدب العربي، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، 2000/1999 .
- هنريش بليث : البلاغة و الأسلوبية (نحو نموذج سيميائي لتحليل النص) ، ترجمة ، محمد العمري، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء ، المغرب، 1999.

6- الهوامش و الإحالات:

1 منذر عياشي : الأسلوبية و تحليل الخطاب ، مركز الإنماء الحضري، ط1، حلب ، سوريا، 2002، ص 49

2عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون ، مراجعة و تعليق، عبد الباقي خريف، دار الشباب ، تونس ، 2014، ص 204 - المرجع نفسه: ص 204 .

3 البد راوي ز هران: أسلوب طه حسين في ضوء الدرس اللغوي ، درا المعارف القاهرة، مصر ، 1982 ،ص 97.

4 حياة معاش: الأشكال الشعرية في ديوان الششتري (دراسة أسلوبية) ، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في الأدب المغربي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010 ، 2011، ص 20-21

5 البد راوي ز هران: أسلوب طه حسين في ضوء الدرس اللغوي، ص 37

6 محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : عبد الكريم العزباوي ، مطبعة حكومة الكويت، ح3، مادة " س.ل، .ب " 1967، ص 71.

7 نهيل فتحي أحمد كتانة: دراسة أسلوبية في شعر أبي فراس الحمداني ،بحث مقدم الاستكمال درجة الماجستير في قسم اللغة و الأدب العربي، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، 2000/1999، ص 34

8 البد راوي ز هران: أسلوب طه حسين في ضوء الجرس اللغوي، ص 11

9 أديث هاملتون : الأسلوب اليوناني في الأدب و الفن و الحياة ، ترجمة : حنا عبود، منشورات وزارة الثقافة ،دمشق سوريا ، 1997، ص 5

10 أنيس فريحة : اللهجات و أسلوب دراستها، دار الجبل ،ط1، بيروت ، لبنان ، 1989، ص 9

11 عدنان بن ذريل : النص و الأسلوبية بين النظرية و التطبيق ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 2000، ص 43.

12 صلاح فضل : علم الأسلوب (مبادؤه و إجراءاته) ،دار الشرق ،ط1 ، القاهرة ، 1998 ص 76
13 محمود السيد شيخون: الأسلوب الكنائي،مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، القاهرة، مصر، 1978، ص 31
14 صلاح فضل: علم الأسلوب ،ص 69
15 سليمان الشطي: المعلقات و عيون العصور(عالم المعرفة) سلسلة شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون الآداب الكويت، 2011،ص 194
16 صلاح فضل : علم الأسلوب (مبادؤه و إجراءاته) ،ص 83-84.
17 حسن ناظم : البنى الأسلوبية دراسة في " أنشودة المطر" للسياب"، المركز الثقافي الغربي، ط1، (الدار البيضاء المغرب وبيروت ، لبنان) 2002،ص30.
18 سيلمان الشطي : المعلقات و عيون العصور، ص 239.
19 أحمد الشايب : الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب البلاغية)، مكتبة النهضة العربية،ط8، القاهرة ،مصر 1991،ص 197.
20 ثائر الزين: أبو الطيب المتنبي في ا لشعر العربي المعاصر دراسة، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999،ص 11.
21 أبو سعيد محمد بن أحمد العميدي: الإبانة في سرقات المتنبي، تحقيق، إبراهيم الدسوقي السباطي، دار المعارف ، بمصر، 1967، ص12
22 ثائر الزين: أبو الطيب المتنبي في الشعر العربي المعاصر، دراسة،ص 10
23 أحمد الشايب: الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلة لأصول الأساليب البلاغية) ،ص 78
24 جبار اهليل زغير محمد الزيدي الميلامي: أسلوبية اللغة عند نازك الملائكة مجلس كلية التربية (صفي الدين الحلي) ، جامعة بابل، 2011،ص 8
25 رحمن غركان: مقومات عمود الشعر (الأسلوبية في النظرية و التطبيق) ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا، 2004، ص 179
26 هنريش بليث : البلاغة و الأسلوبية (نحو نموذج سيميائي لتحليل النص) ، ترجمة ، محمد العمري، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء ، المغرب، 1999،ص 48
27 نفس المرجع، ص 48.
28 سعد مصلوح : الأسلوب (دراسة لغوية إحصائية) ، عالم الكتب ، ط3، القاهرة، مصر، 1992،ص 66.
29 محمد بولحية: الأسلوب البلاغي في القران الكريم (سورة الكهف نموذجا دراسة وصفية)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة و الأدب العربي (تخصص البلاغة و الأسلوبية)، جامعة الحاج لخضر ،باتنة، 2010، 2009،ص 40
30 أحمد درويش :دراسة الأسلوب بين المعاصرة و التراث ،دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، مصر ، 1998،ص 13.
31 سعد مصلوح: الأسلوب (دراسة لغوية وصفية) ، ص 37.
32 أبو العلاء المعري: رسالة الغفران ،دار الشباب ، تونس، 2010،ص 16.